وباء الإغماء الجماعي

تحليل وبائى لأسرار الحدث

دكتور

أحمد رفعت عبد الغفار الكشميرى

وباء الإغماء الجماعي

تحليل وبائي لأسرار الحدث

دكتور

أحمد رفعت عبدالغفار الكشميري

أستاذ م. بقسم طب المجتمع والبيئة وطب الصناعات

كلية الطب - جامعة الزقازيق

ت ٥٩١٧٧٧ - ٠٥٥/٥٩١٧٧٨

إهداء

إلى براعم الحاضر الغضة

وسواعد المستقبل الصلبة

الى كل طلاب المعرفة بالمدارس المصرية

من أجلكم نعمل ليتحقق لنا وبكم المستقبل الأفضل

بســم الله الرحمن الرحيــم

مقدمــة

لم يكن وباء الإغماء الجماعى لطالبات المدارس فى مصر بالحدث الهين، فقد أصاب أكثر من ٣٠٠٠ طالبة وأدخل الرعب فى كل بيوت مصر وإنتشر فى بقعة جغرافية جاوزت نصف محافظات القطر وإستمر لأكثر من عشرة أيام عاش خلالها المسئولون والمواطنون فى جو أشبه بجو الكارثة.

ولخطورة الموقف حينذاك فقد هبت له الدولة بمؤساساتها الصحية والأمنية والبحثية والإعلامية والشعبية وصار حديث الشارع لمدة جاوزت الإسبوعين ... ثم كما بدأ فجأة - تلاشى وصار ذكرى تداعب وجدان التلميذات والمدرسين والأطباء. وترك خلفه أسئلة حائرة معلقة لا تجد إجابات شافية !!

ونظرا لمعايشى لهذا الوباء والحالات التى ظهرت فى محافظة الشرقية فقد أقدمت على وضع هذا الكتيب فى محاولة لقراءة قصة الوباء من جديد وربط الأحداث ببعضها وإرجاع النتائج للمقدمات من أجل إستجلاء الحقائق وكشف النقائص والعيوب وإضاءة شمعة فى طريق الوعى العام لتسلك العقول دربا يبعدها عن الظن والوهم وتداعيات الإفتراضات اللامنطقية فى تعاملها عن مع مثل هذه النوعية من الأحداث التى يمكن أن تعاودنا بشكل أو بآخر.

د. أحمد رفعت عبد الغفار الكشميرى

وباء إغماء طالبات المدارس المصرية أبريل ١٩٩٣

ملخص الحدث

في يوم الأربعاء الموافق ٣١ مارس وفى إحدى المدارس الإعدادية بقرية بويط بمحافظة البحيرة، شعرت إحدى التلميذات بدوار وإعياء وسقطت على الأرض مغشياً عليها، وكاد الأمر أن يمر بسلام مثلما يحدث كل يوم فى جميع مدارس البنات لأسباب فسيولوجية أو عضوية أو نفسية، لكن لم تسر الأمور هكذا... بل توالى سقوط الطالبات واحدة تلو الأخرى حتى بلغ مجموع الحالات عشرين طالبة، مما مثل ظاهرة غير مسبوقة سببت جزع المعلمون وهلع الطالبات وإرتباك الوحدة الصحية القروية مما دعا إلى نقل الحالات إلى المستشفى المركزى بالرحمانية.

وفى اليوم الثانى عاود الإغماء الغامض مهاجمة ستين طالبة أخرى فى مدارس القرى المجاورة. ومر يوم الجمعة بسلام لكن أطل الوباء بوجهه المخيف على طالبات المدارس مرة أخرى يومى السبت والأحد بنفس المحافظة، ولم يتوقف الحدث الغريب عند ذلك بل حدثت مفاجأة مذهلة فى يوم الأثنين (٥ أبريل) فالوباء عبر المحافظات ليصيب الطالبات فى إحدى المدارس الإعدادية بمدينة الإبراهيمية بمحافظة الشرقية ومنها إنتقل ليصيب أربع محافظات ثم ستة ثم إثنتا عشرة ثم خمسة عشرة محافظة على مدة عشرة أيام مخلفا أكثر من ثلاثة آلاف إصابة بين الفتيات.

تبدأ النوبة بإحساس الطالبات بالدوار والدوخة وزغللة فى العين ثم تتطور إلى إغماء مفاجئ ويتوالى بعد ذلك سقوطهن على الأرض، وتستمر هذه الحالة عدة دقائق (فى الغالب)، وبعد الإفاقة يكون الشعور العام هو صداعا ودوخة وآلاما بالبطن ورعشة وإحمرارا بالعين. وبفحص الطالبات فى المستشفيات وجد أن جميع الوظائف الحيوية للجسم فى النطاق الطبيعى ولم تسجل أية مظاهر مرضية تشير لتأثر أجهزة الجسم بأية أمراض عضوية. وبإجراء التحاليل المعملية لم يثبت إكتشاف أية أدلة للتسمم أو التعرض لأية مواد كيماوية أو ميكروبات.

خصائص الوباء

عند مراجعةالحالات وأماكن وأوقات حدوثها تبين الاتى:

أولا: الخصائص الزمانية للوباء:

١- أن الحالات ظهرت فقط أثناء اليوم الدراسى وبعد إنقضاء بعض الحصص الأولى ولم تظهر إلا حالات نادرة بعد اليوم الدراسى.

٢- يكاد ينعدم ظهور الحالات فى أيام الجُمع.

٣- كان الوباء محدود الزمن (١٢ يوم) وتوقف ذاتيا.

ثانيا: الخصائص البشرية:

١- الغالبية الساحقة للمتأثرين كن تلميذات.

٢- تنتمى غلبية الحالات إلى القطاع الريفى.

٣- معظم الحالات كانت بين طالبات المرحلة الإعدادية.

٤- يصيب مجموعة صغيره من بين تلميذات المدرسة ولا يصيب المدرسات أو المدرسين أو باقى الموظفين والعاملين بالمدرسة.

ثالثا: الخصائص المكانية:

١- ظهرت معظم الحالات داخل الأبنية المدرسية أو وسط التجمعات الطلابية خارج المدرسة.

٢- إستمرت الحالات فى نطاق محافظة واحدة لمدة خمسة أيام ثم ما لبث وأن إنتشر بالتدريج إلى خمسة عشرة محافظة أخرى خلال خمسة.

المنحنى الوبائى لحالات إغماء الطالبات

المنحنى الوبائى هو رسم تخطيطى يبين العلاقة بين العدد المسجل للحالات وزمن حدوثها ويستخدم عادة لمعرفة نوع الوباء بطريقة أولية وسريعه وتوجيه الأنظار إلى السبب المحتمل.

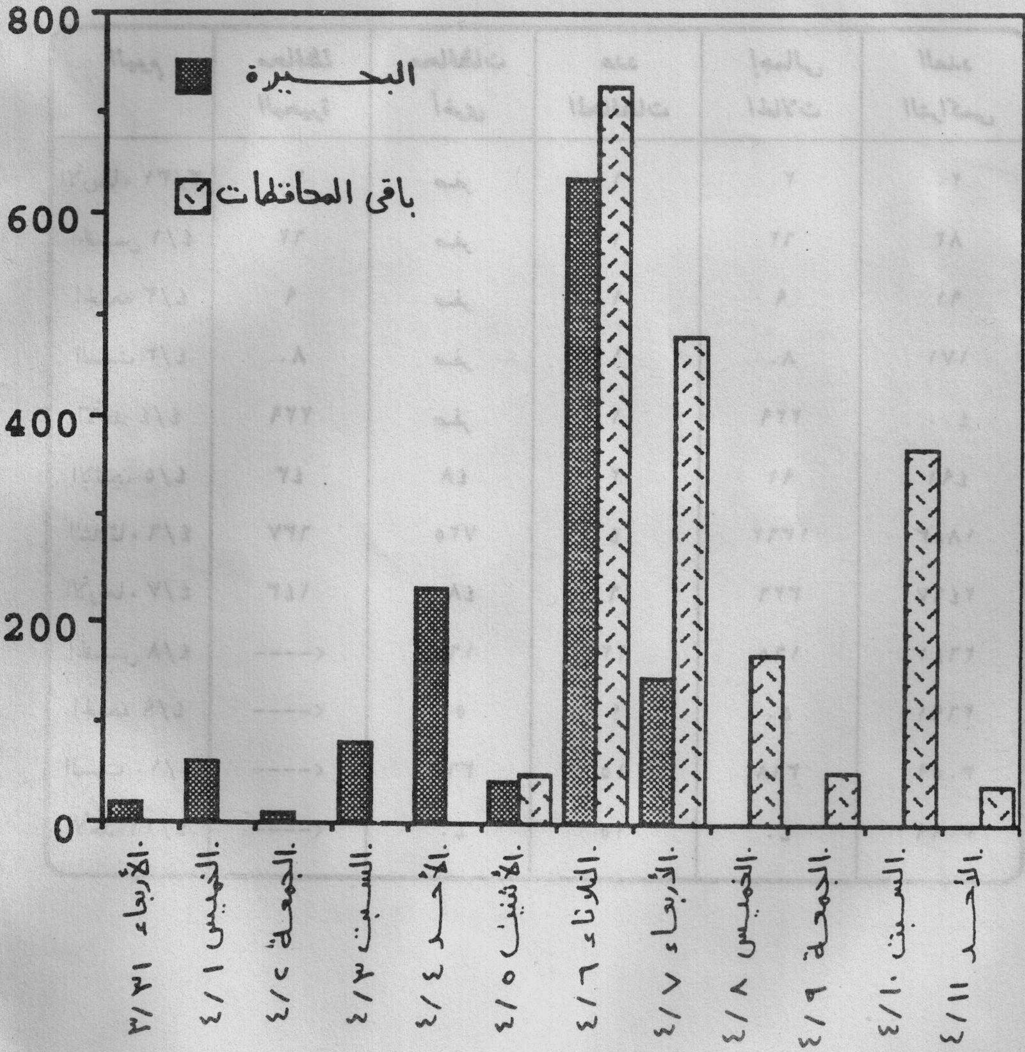
والمنحنى الوبائى يحدد نوع الوباء كالآتى :-

أ) أوبئة المصدر الواحد Common Source Epidemics. يحدث هذا النوع من الأوبئة عندما يتعرض مجموعه من الأشخاص لمصدر ميكروبى أو كيماوى واحد فيحدث عندئذ ظهور الحالات المرضية بسرعة وفى آن واحد تقريبا ثم يقل العدد بصورة حادة بعد ذلك نظراً لشفائها (أو موت بعضها) وبالتالى فإن منحنى أوبئة المصدر الواحد تتميز بأن خط الصعود وخط الهبوط يكونا بصورة سريعة وفجائية وعلى ذلك فإن قمة المنحنى تكون حادة بشكل عام.

ب) أوبئة العدوى المتنقلة Person to Person Epidemics يحدث هذا النوع من الأوبئة عندما تنتقل العدوى (أو مسبب المرض) من شخص إلى آخر وهكذا. وعلى ذلك فإن منحنى الأوبئة المتنقلة يتميز بأن خط الصعود يكون بصوره تدريجية وبطيئة على مدى زمنى أطول نسبيا من وباء المصدر الواحد. وعند تدخل إجراءات المكافحة تأخذ الحالات فى التناقص التدريجى وبالتالى فإن قمه المنحنى تكون مفلطحة أو عريضة ومتسعة نوعا ما.

وعند رسم المنحنى الوبائى لحالات إغماء الطالبات - وذلك إستنادا على تصريحات المسؤلون وحسب ما أجمعت عليه غالبية الصحف (جدول ١) فيمكن ملاحظة الآتى:

شكل (١) المنحنى الوبائى لحالات الاغماء الجماعى



جدول (١): عدد الحالات المسجله خلال فتره الوباء بداية من يوم الأربعاء ١٩٩٣/٣/٣١

اليوم	محافظة البحيرة	محافظات أخرى	عدد المحافظات	إجمالى الحالات	العدد التراكمى
الأربعاء ٣/٣١	٢٠	صفر	١	٢٠	٢٠
الخميس ٤/١	٦٢	صفر	١	٦٢	٨٢
الجمعه ٤/٢	٩	صفر	١	٩	٩١
السبت ٤/٣	٨٠	صفر	١	٨٠	١٧١
الأحد ٤/٤	٢٢٩	صفر	١	٢٢٩	٤٠٠
الإثنين ٤/٥	٤٣	٤٨	٢	٩١	٤٩١
الثلاثاء ٤/٦	٦٣٧	٧٢٥	٤	١٣٦٢	١٨٥٣
الأربعاء ٤/٧	١٤٣	٤٨٠	٦	٣٢٦	٢٤٦٧
الخميس ٤/٨	<----	١٦٥	١٢	١٦٥	٢٦٤١
الجمعه ٤/٩	<----	٥٠	؟	٥٠	٢٦٩١
السبت ٤/١٠	<----	٣٦٨	١٥	٣٦٨	٣٠٥٩
الأحد ٤/١١	<----	٤٠	١٥	٤٠	٣٠٩٩

١-الشكل العام لمنحنى وباء إغماء الطالبات فى مصر (شكل ١) يطابق خصائص المنحنى الوبائى لأوبئة العدوى المتنقلة Person - to - Person حيث مرحلة الصعود والهبوط تتدرج ببطئ على مدار عدة أيام ومن ثم فإن هذا التوزيع الزمنى للحالات المسجلة يؤكد إنعدام إحتمالية تعرض الطالبات لغاز أو أية مادة سامة أخرى، بل كان الوباء ينتقل من شخص إلى آخر ومن مدرسة لأخرى بالإيحاء ومن محافظة لأخرى بالصحف فهو إذن أحد أوبئة العدوى المتنقلة.

٢- ويلاحظ أن المنحنى الوبائى للحالات فى محافظة البحيره قد شهد طفرتين: الأولى يوم الأحد (٢٢٩ حاله) والثانية يوم الثلاثاء (٦٣٧ حالة)، وأن المنحنى الوبائى لمجمل الحالات المسجلة على مستوى الجمهورية قد شهد أيضا طفرة كبيره يوم الثلاثاء (٧٢٥ حالة فى أربع محافظات بالإضافة إلى ٦٣٧ حاله فى البحيره).

والمتتبع لحركة الوباء مع الأحداث يجد أن هناك إرتباطا زمنيا مباشرا بين ما حدث يوم السبت وظهور الطفرة الأولى يوم الأحد وما حدث يوم الإثنين وظهور طفرة أخرى يوم الثلاثاء وهذا الإرتباط هو إرتباط الحدث بالنتيجة والفعل برد الفعل.

فما الذى حدث يومى السبت والأثنين ؟ (أنظر: علاقة تقرير مركز السموم بإنفجار الوباء ص ٢٠).

البحث عن سبب الوباء :-

لم تدخر كافة الأجهزة المعنية جهداً فى البحث عن سبب الوباء وذلك بإجراء فحوص معملية لعينات من البول والبراز والدم للطالبات و وكذلك أخذ عينات من الهواء والتربة والمياه والأغذية من أماكن حدوث الوباء وشاركت فى هذه الفحوص معامل وزارة الصحة والجامعات والقوات المسلحة وتم كذلك إستشارة منظمة الصحة العالمية.

وأظهرت النتائج سلبية كافة العينات تجاه أى مسبب ميكروبى أو كيماوى،وفى غياب تشخيص واضح ظلت الحالة لمدة خمسة أيام تمثل لغزا مما دعا بعض الصحف إلى وصفها بالمرض الغريب والوباء العجيب.

وفى يوم الإثنين ١٩٩٣/٤/٥ تم تشخيص الوباءعلى أنه **"هستيريا جماعية"** أوما يسمى **"زملة الإعياء"** وإنتقد هذا النهج بشدة من الصحف وحتى من بعض أساتذة وأخصائى الطب النفسى بالإضافة إلى ظهور هلع غير مبرر من إحتمال تعرض الطالبات **"لغاز سام"** وذلك منذ بداية الوباء.

وإزداد الأمر غموضا عندما إنتقل الوباء وعبر المحافظات ليصيب الطالبات فى محافظة الشرقية فى يوم الإثنين ١٩٩٣/٤/٤ وبالتدريج إنتقل ليصيب الطالبات فى خمسة عشرة محافظة أخرى بعد ذلك.

ولكن ثبت أخيرا التشخيص النفسى للحاله وإتضح أن الأمر مجرد إغماء بل دوخه أو "دلع بنات" وخمد الوباء.... ولكن تبقى منه ذلك السر الغامض: **لم كل هذا الإنتشار الجغرافى الواسع والعدد الكبير للمصابين والمدة الطويلة التى ظل خلالها الوباء جاثما على صدورنا بثقل رهيب.**

الخصائص المصرية لوباء الإغماء

لم يكن ما حدث للطالبات المصريات بدعة مصرية فريدة، فقد حدثت أوبئة مماثله له فى أماكن عديدة من العالم تطابق لدرجة كبيره ما حدث لنا فى مصر. لكن تميز الوباء المصرى عن كل الأوبئة المماثله بالخصائص المتفردة الآتية:-

١- عدد كبير من الضحايا: أكثر من ٣٠٠٠ حاله.

٢- زمن طويل: ١٢ يوما.

٣- إنتشار واسع: خمسة عشرة محافظة.

ففى الأوبئه المماثله له عالمياً لم يتعد عدد الحالات بضعة مئات ولم يستمر زمن الوباء أكثر من ثلاثة أيام ولم ينتشر على الإطلاق خارج المنطقة الجغرافية التى ظهر بها. فما هى الأسباب الحقيقية وراء إنفراء الوباء فى مصر بالخصائص السابق ذكرها.؟

يمكن إرجاع ذلك إلى أسباب غير مباشرة وأسباب مباشرة فالأسباب الغير مباشرة تكمن فى الخصائص المتفردة لطبيعه المصريين ولطبيعة أرض مصر. فمصر كما وصفها الدكتور جمال حمدان فى بحثه القيم "شخصية مصر" هى كالوردة غصنها يمتد من الجنوب للشمال ممثلا فى النيل الصاعد وزهرتها هى دلتا النيل فى الشمال وبرعمها الجانبى ممثلا فى الفيوم. وهذا التفرد فى الموقع الجغرافى للسكان جعل أهل مصر متلاحمين وملتصقين بشدة ومتوحدى المشاعر هذا بالإضافة إلى تجانس ونقاء الخصائص البشرية مما جعل المصريين وكأنهم أسرة كبيرة تعيش فى سفينة طويلة تمتد من الشلالات جنوبا حتى سواحل البحر الأبيض شمالا ويحيط بجانبتها بحر من رمال الصحراء الشرقية والغربية مما يجعل التعاطف بين المصريين كأفضل ما يكون ويلقى بظلاله على مختلف المواقف والأزمات التى تمر بها مصر، خاصه فى وباء ينتقل بالإيحاء ويزجيه التعاطف والزمله.

أما عن الأسباب المباشرة التى جعلت وباء الإغماء فى مصر يأخذ هذا المنحى المتفرد فيمكن إرجاعها إلى الأسباب الآتية :-

السبب الأول: هلع الصحافة ....بعض المحررين.

السبب الثانى: عدم تعقل المثقفين للحدث....بعض المثقفين.

السبب الثالث: دلع البنات...............بعض البنات.

وكان يمكن للوباء أن يكون فى حجم وإنتشار وإستمرار أقل كثيرا مما آل إليه ليماثل الأوبئة المشابهه له عالميا لولا هلع (بعض المحررين) الصحفيين وغيبة المنطق عند (بعض) المثقفين وركوب (بعض) الفتيات الموجه ورغبتهن فى التسلى باللعبة.

أولا: هلع الصحافة

تناولت الصحف أحداث الوباء منذ يوم السبت الأول بأوصاف تلقى فى روع القارئ إحساساً بالغموض والخطر الداهم. والسرد التالى للكلمات التى إستخدمتها الصحف يبين ذلك وهى كما يلى :-

غيبوبة تامة،	**غيبوبة كاملة،**	**غيبوبة،**
حادث الإغماء،	**الوعى المفقود،**	**غيبوبة مفاجئة،**
مرض غامض،	**مرض عجيب،**	**مرض غريب،**
موجة مرضية.	**لغز محير،**	**مؤامره،**

وتكرار عرض الأوصاف السابقة على صفحات الجرائد اليومية أوجد مستوى عالياً ومتزايداً لجرعة من الشد العصبى والتوتر النفسى والقلق الجارف والخوف العارم والتهديد المسلط فوق رؤس الجميع. ولم تستطع عقول الطالبات التعامل مع هذه الجرعة

بطريقة مباشرة لعدد محدود ولكن قامت الصحف بنقل العدوى وبنفس الطريقة (من خلال الأفكار والمضامين والأوهام وجرعات التوتر التى تحويها سطور الأخبار) إلى قطاع عريض من قابلى العدوى.

غيبوبه

وإذا أخذنا أحد الأوصاف المخيفه للوباء وهو وصف " **غيبوبة**" مع إختيار جريدة الأهرام الصباحية وهى واحدة من أكثر الصحف العربية إلتزاماً ورصانة ومصداقية فنجد أن هذا الوصف تكرر فى الاسبوع الأول عشرة مرات كالآتى:-

السبت: **غيبوبة عامة، غيبوبة كاملة.**

الأحد: **غيبوبة مفاجئة، غيبوبه تامة، غيبوبة.**

الثلاثاء: **غيبوبه** (ذكرت مرتان).

الأربعاء: **غيبوبة** (ذكرت ثلاث مرات).

وتكررت كذلك كلمة أغماء أكثر من خمسين مرة ولم تظهر كلمة دوخه إلا فى نهايه الإسبوع وبالتحديد يوم الخميس وتكرر ذكرها ثلاث مرات فقط.

وهنا فارق شاسع بين كلمة غيبوبة وإغماء أو حتى دوخة وهو ما يفهمه الأطباء والعامة. ولا نلقى باللوم كله على محرر الخبر بل يقع جزء منه على الطبيب الذى أطلق هذا الوصف والجزء الآخر على المحرر الذى لم يستخدم آلياتة فى التحرى الدقيق وسؤال آخرين عن هذا التشخيص هذا بالإضافة إلى تكراره بلا سند علمى ولا نقلا عن مصدر موثوق بل كنوع من الإثارة الصحفية وتكررت كذلك مثل هذه الأخطاء عند نشر بعض التفسيرات المفزعة على صفحات الجرائدثم يترك العامة تلوك هواجسها يوما كاملا حتى يصدر فى الصباح التالى تكذيب وتفنيد للبعض والبعض الآخر يترك معلقا.

المتزايدة فإنهارت تحت وطأة الخوف من المجهول خاصة إذا كان المرض والسبب وحشا إسطوريا يهدد الوعى بطريقة غامضة وبفاعل غامض لا يستطيع أحد الدفاع عن نفسه أو يتقى شره.

ويمكن القول حينئذ أن وباء الإغماء الجماعى لطالبات المدارس المصرية قد أسفر عن إكتشاف وسط جديد يمكن أن ينقل العدوى ليضاف من الان للقائمة التقليدية الثابتة منذ عشرات السنين فى المراجع الطبية وهو **العدوى المنقولة عن طريق وسائل الإعلام أو عدوى الصحافة.**

وعند الكلام عن حالة مرضية تنتقل بالإيحاء ومفعولها نفسى بحت فإن جرعة الخوف التى تتلقاها العقول والمشاعر فى مفهوم الطب النفسى تماثل جرعات المادة السامة التى تتلقاها الأجسام فى مفهوم الطب الجسمانى.

والتجربة الآتية والتى أجريت فى ذروة الوباء تثبت أن إعطاء جرعات متزايدة من التخويف يمكن أن ينتج عنها صورة طبق الأصل لما حدث فى الوباء: فقد قام الدكتور سيد القط مستشار الصحة النفسية بإحضار عدد من الطالبات ومن خلال حديثه معهن بإستخدام إستمالات الخوف والتهويل من حا لات الإغماء المفاجئ مع تضمينها بعدد من الشائعات والأقاويل التى تتردد بين طالبات المدارس وظل يتحدث اليهن مع زيادة جرعات التخويف حتى بدأن فى حالات مستمرة من الإغماء المفاجئ واحده تلو الأخرى حتى سقطن جميعا مغشيا عليهن وبعد ذلك قام الأطباء بعمل إجراءات الإفاقة أمام ذهول الجميع خاصة وأنه لم يستخدم أية دلالة من دلالات التنويم المغناطيسى (الأهرام المسائى ٩٣/٤/٨ ص٩).

وهذه التجربة الواقعية تثبت بالدليل القاطع أن الأوبئة يمكن أن تنقلها وسائل الإعلام لأن ما قام به الدكتور سيد القط كان نقل العدوى

بطريقة مباشرة لعدد محدود ولكن قامت الصحف بنقل العدوى وبنفس الطريقة (من خلال الأفكار والمضامين والأوهام وجرعات التوتر التى تحويها سطور الأخبار) إلى قطاع عريض من قابلى العدوى.

غيبوبه

وإذا أخذنا أحد الأوصاف المخيفه للوباء وهو وصف " **غيبوبة**" مع إختيار جريدة الأهرام الصباحية وهى واحدة من أكثر الصحف العربية إلتزاماً ورصانة ومصداقية فنجد أن هذا الوصف تكرر فى الاسبوع الأول عشرة مرات كالآتى:-

السبت: **غيبوبة عامة، غيبوبة كاملة.**

الأحد: **غيبوبة مفاجئة، غيبوبه تامة، غيبوبة.**

الثلاثاء: **غيبوبه** (ذكرت مرتان).

الأربعاء: غيبوبة (ذكرت ثلاث مرات).

وتكررت كذلك كلمة أغماء أكثر من خمسين مرة ولم تظهر كلمة دوخه إلا فى نهايه الإسبوع وبالتحديد يوم الخميس وتكرر ذكرها ثلاث مرات فقط.

وهنا فارق شاسع بين كلمة غيبوبة وإغماء أو حتى دوخة وهو ما يفهمه الأطباء والعامة. ولا نلقى باللوم كله على محرر الخبر بل يقع جزء منه على الطبيب الذى أطلق هذا الوصف والجزء الآخر على المحرر الذى لم يستخدم آلياتة فى التحرى الدقيق وسؤال آخرين عن هذا التشخيص هذا بالإضافة إلى تكراره بلا سند علمى ولا نقلا عن مصدر موثوق بل كنوع من الإثارة الصحفية وتكررت كذلك مثل هذه الأخطاء عند نشر بعض التفسيرات المفزعة على صفحات الجرائدثم يترك العامة تلوك هواجسها يوما كاملا حتى يصدر فى الصباح التالى تكذيب وتفنيد للبعض والبعض الآخر يترك معلقا.

قصة الغيبوبة

أجرى محرر الأهرام لقاء مع طبيب الوحدة الصحية ببويط والتى بدأ منها الوباء ونشرت تفاصيله فى جريدة الأهرام الصباحية يوم السبت ١٩٩٣/٤/٣ حيث بدايات القصة وأولى الحقائق والمعلومات التى تنقلها الصحف للرأى العام والخبر نشر بالنص الآتى :-

"أنه حدث يوم الأربعاء الماضى (٣١ مارس) سقوط ٢٠ طالبة من فصل واحد بالصف الأول الإعدادى من مدرسة بويط مغشيا عليهن حيث كانت الإصابة عبارة عن غيبوبة تامة وقد إرتفع عدد هذه الحالات إلى ٨٢ حالة أمس (الخميس ٤/١) وأضاف طبيب الوحدة أن أعراض هذه الحالات كانت عبارة عن إرتفاع فى درجة الحرارة وإحتقان بالوجه وأضاف طبيب الوحده أن وجهة نظره أن سبب هذه الحالات تمثل ٧٠٪ منها حالات نفسية و٣٠٪ يحتمل أن يكون لإستنشاق رائحة غاز مثلا". إنتهى الخبر.

والمثير للدهشه أن ذلك الطبيب كان متغيبا عن الوحدة فى اليوم الأول للوباء كما إتضح فيما بعد ذلك نقلا عن جريدة أخبار الحوادث (الخميس ٤/٨ ص ٤).

وأخطر ما قيل فى تشخيص ذلك الطبيب هو وصف للحاله على أنها " غيبوبه تامه" والوصف الثانى هو "إرتفاع فى درجة الحراره" حتى أن السيدة وجيهه الزلبانى عضو مجلس الشعب وفى جلسة يوم الإثنين ٤/٥ قد إلتقطت هذه الجزئية وتسائلت عن سر الإرتفاع المفاجئ فى درجه الحرارة وما يعقبها من إغماء ويعكس هذا الموقف مدى تأثير التشخيص الخاطئ على إنطباعات العامة والمسؤلين تجاه هذا الوباء وإستمرار ذلك اللبث حتى مساء يوم الإثنين أى بعد ستة أيام كاملة من بداية الوباء.

أخبار محليه وعالميه تثير الفزع بجوار أخبار الوباء :-

تزامن مع الغموض الذى يحيط بالحالة نشر بعض الصحف لأخبار مفزعة فى نفس الصفحة التى تحمل أخبار الوباء "ففى أهرام السبت ١٩٩٣/٤/٣ فى صفحة

الحوادث وبجوار خبر "الوعى المفقود لطالبات البحيرة" نجد عرضا لخبرين مفزعين الأول: قضية الأغذية الفاسدة فى بور سعيد. والثانى الصوت المدوى داخل الهرم كان بسبب الأبخرة الكيماوية" فالخبر الأول يعطى إيحاء بأن هناك سموما تلقى فى الأسواق نظراً لدخول أغذية فاسدة والخبر الثانى مرتبط بالهرم وأسراره وموضوع الإنفجار الغامض الذى حدث به و كلمة أبخره كيماوية.

وفى أهرام الثلاثاء ١٩٩٣/٤/٦ وعلى الصفحة الأولى: "وفاة ١٩ شخصا بسبب وباء غامض فى الهند" وفى جريدة الأخبار ٩٣/٤/٦" هيروين مسموم فى الأسواق"

وكان أحرى بالصحافة إرجاء نشر هذه الأخبار أو عدم إدراجها فى نفس الباب الصحفى حتى لا نلقى البنزين على النار الملتهبة.

الرحمة بعقولنا يا صاحبة الجلاله.

ومن فرط الهلع وبعد الجهد المشكور للصحفيين فى إستجلاء الحقيقة من أفواه المتخصصين تخرج علينا جريدة الجمهورية بهاتين الطرفتين الصحفيتين.

الطرفة الصحفية الأولى: مقابلة مع حلاق القرية: ؟!!.

"ويقول..... حلاق القرية أن هذه الحالة غريبة جدا على القرية فلم يحدث أن تعرض أحد من الأهالى للإغماء فيما عدا بنت تدعى شيماء كانت تداهمها حالات إغماء مع ظهور القمر خصوصا عندما يصير بدراً كاملا وكنت أشرف على علاجها بالحقن والمسكنات وهى حالة نفسية كما قال لها الأطباء لكنها فتاة عادية تماما".

الطرفة الصحفية الثانية: مقابلة مع المعالجين بالفلك والنجوم؟!!.

"وأخيرا لجأنا إلى المعالجين بالفلك والنجوم: الحاجة (فلانه) لا تنكر تأثير الكواكب والنجوم على الإنسان خصوصا على المراهقات. فعندما يصير القمر بدرا كاملا تكون بعض البنات أكثر عرضة للهياج العصبى والنفسى والعاطفى خصوصا إذا كانت

إحداهن مسكونه بالحزن والقهر والحرمان فى حياتها العامة والخاصة لكنى أقول أن العالم الخفى يلعب دورا كبيرا مع البنات خصوصا هذه الأيام فالقرين وعامرالمكان والأرواح تمارس ألعابا خطيرة مع البنات تظهر نتائجها فى شكل أمراض مختلفة لا تفسير لها لدى الأطباء بكافة تخصصاتهم لذلك أطالب وعلى مسئوليتى بدراسة هذه الظاهره وهذه مسئولية رجال الدين فى مصر".

هذا ما تم نشره فعلا فى جريدة الجمهورية يوم الخميس الموافق ٤/٨/ ص ١٣.

ثانيا: عدم تعقل بعض المثقفين للحدث

يبدو أن إنفجار الوباء وتشكله بالصورة المصرية الفريدة السابق إيضاحها قد حدث كنتيجة مباشرة لحدثين بارزين وهما:-

أ) تشخيص طبيب الوحدة الصحية ببويط للحالات ووصفها يوم السبت الأول ١٩٩٣/٤/٣.

ب) تقرير مركز السموم بجامعة الإسكندرية يوم الإثنين ٤/٥.

أما عن تشخيص الطبيب والذى سبق سرده فقد أخذ أهمية خاصة لأنه كان أول وصف للحالات وأسبابها المحتملة من الطبيب الذى فحص الحالات الأولى للطالبات والذى يعرف السر والجميع من المتعطشين للحقيقة فى شوق شديد لسماع رأيه.

ومن المعروف علميا أن أولى خطوات فحص الوباء هو التحقق من التشخيص، لكن للأسف لم يتم ذلك بالسرعه الكافية وظل التشخيص الخاطئ ينتشر بين الناس بواسطة الصحف على أن المرض عبارة عن غيبوبه؟!!!

وأكاد أن أجزم أنه لو أسعفت ذلك الطبيب ذاكرته العلمية وقال وصفا آخر غير " الغيبوبة" لكان الحال غير الحال ولاخذ الوباء حجمه الطبيعى وخمد فى مهده مثلما حدث فى قرية الزرزمون بمحافظة الشرقية.

وباء محدود بالزرزمون-شرقية؟؟.

ظهر وباء إغماء جماعى محدود لبعض طالبات المدارس بقرية الزرزمون التابعة لمركز ههيا-شرقية، وكان ذلك قبل حدوث الوباء بالبحيرة بإسبوع كامل حيث حولت إلى مستشفى ههيا المركزى حوالى ٢٦ حالة لطالبات لديهن أعراض مماثلة لما حدث فى البحيرة فما كان من مدير المستشفى إلا أن أجرى لهن عمليات الإفاقة وأمر بخروجهن من المستشفى فوراً وقال للمدرسين هذا "دلع للبنات" ولم يعط الموضوع حجماً أكبر من ذلك. وعلى ذلك فقد إنتهى الوباء فى مهده (جريدة السياسى المصرى ١٩٩٣/٤/١١).

تقرير مركز السموم وعلاقته بإنفجار الوباء بباقى المحافظات:

على الرغم من التأكيدات المبكرة والسريعة والواضحة والكافية من مديرية الصحة بالبحيرة على سلبية كل التحاليل التى أجريت للطالبات فإن الرأى العام إنتظر على قلق وشوق نتائج التحاليل التى قام بها مركز السموم التابع لكلية الطب - جامعة الإسكندرية والذى حول إليه ثلاث فتيات من أصعب الحالات فى يوم السبت الأول للأسباب التالية :-

١- أن هذا المركز خاص بالسموم وتابع لكلية الطب - جامعة الإسكندرية وتتوفر لديه كل الخبرات والأجهزة الحديثه ما يفوق إمكانيات المعامل الإقليمية لوزارة الصحة (على الأقل حسب رأى الجماهير).

٢- أن هذا المركز إستقبل أصعب ثلاث حالات والتى إستعصى علاجها وكانت فى غيبوبة تامة لفترة طويله (كما قيل).

٣- تعتقد الغالبية من الجماهيرأن رأى الجامعة رأى حيادى ولا ينحاز إلا للحقيقة.

وفى يوم الإثنين ١٩٩٣/٤/٥ نشرت كل الصحف تقرير مركز السموم ومعه رأى مديرة المركز ولمزيد من الإيضاح سنعرض فيما يلى كل ما نشر بهذا الخصوص:-

على الصفحة الأولى لجريدة الأهرام "الإثنين ١٩٩٣/٤/٥" ظهر العنوان التالى بالبنط العريض "٨٥ حالة بين طالبات البحيره - **إحتمال تعرض الطالبات لغاز أو حاله نفسية**" وتفاصيل هذا الخبر وفى الصفحه الأولى كتب المحرر "وفى محاولة لتفسير الظاهرة صرحت الدكتورة رئيسة مركز السموم بجامعة الإسكندرية بأنه يحتمل تعرض الطالبات لغاز يثير الأغشية المخاطية ويسبب صداعا شديدا ودوارا" وفى الصفحة الداخلية لنفس الجريدة تكملة للتصريح "أنه ثبت خلو ٣ عينات لطالبات مدرسه سماديس الإعداديه والتى تعتبر من أسوأ حالات الإغماء والتى حدثت للطالبات من السموم بعد تحليلها وتأكد خلوها من أول أكسيد الكربون وباقى الغازات السامة وأضافت أنه بعد فحص ٣ طالبات وصلن أمس (السبت) إلى مركز السموم تبين أن الطالبات قلن أنهن شممن رائحة غاز كريه تنبعث من الفصل قبل حالات الإغماء".

وأكدت نتائج تشخيص الحالات سلامه الجسم والصدر والقلب والرئه وضغط الدم وأن الفحوص التى أجريت على الحالات الثلاث كانت بواسطة أحدث جهاز لقياس مستوى الغازات فى الدم الذى أكدت نتائجه سلامة دم الطالبات وقالت أن الطالبات خرجن من المركز بعد ٣ ساعات فقط من دخولهن بعد التأكد من سلامتهن وفسرت الظاهره على أنه إحتمال تعرض الطالبات لغاز يثير الأغشية المخاطية مما يؤدى لظهور صداع شديد ودوخة مع خلوه من السموم ؟؟!!. انتهى الخبر"

وتلقفت الصحف هذه التصريحات وسعت إلى مزيد من الإيضاحات على مدار بقية الإسبوع. ففى يوم الأربعاء ٩٣/٤/٧ وفى جريدة الجمهورية" صرحت الدكتوره رئيسة المركز بأن هناك نوعية من الغازات المعروفة بتأثيرها الموضعى على الأغشية المخاطية والتى تتعرض لها فى البدايه العين والأنف وقد **أحدث الغاز المجهول** إحتقانا فى الأغشية وبخاصه العيون ويرجح أن تكون من **الغازات المسيلة** للدموع أو صادرة من أنابيب تستخدمها النساء فى الغرب لمقاومة محاولات الإغتصاب ؟؟!!.

وأكدت الدكتورة رئيسة المركز إعتراضها على عنصر الإيحاء النفسى كعامل أساسي في حدوث الظاهره فلقد حدثت الإصابات فى مدارس يبعد بعضها عن الآخر ١٠ كيلو مترات على الأقل والدافع العملي يفرض علينا أخذ عينات من الهواء المحيط بتلك المنطقه وإجراء فحوصات دقيقه لتحديد نوعية الغاز ومصدره. انتهى الخبر.

تفاعل الوباء مع تقرير مركز السموم:

يبين المنحنى الوبائى (شكل ١) بوضوح الإرتباط المباشر بين التقرير وبين الحركة المفاجئة للوباء رأسيا من حيث عدد الحالات التى حدثت يوم الأحد والتى وصلت إلى ٢٩٩ حالة فى محافظة البحيرة والحركه المفاجئة للوباء أفقيا حيث إمتد إلى محافظة الشرقية ومنها لباقى المحافظات وذلك بداية من يوم الإثنين.

فما الذى حدث يومى الأحد والإثنين؟

عادت الطالبات الثلاث لمنازلهن بعد إجراء الفحوص بمركز السموم بالإسكندريه ووصل تقرير المركز إلى السلطات الصحية المحلية بالمحافظة وتلقفه الأهالى والمسئولون وسرى محتواه كالنار فى الهشيم فهو أول تقرير علمى يعطى تفسيرا للحالة ويشير إلى السبب من وجهة نظر جهة علمية متخصصة.

وكان كما ذكر إحتمال إستنشاق غاز ومن هذه اللحظة تأكدت الشكوك ودخل الجميع إلى السرداب المظلم .. من الفاعل؟ وما هى طبيعه ذلك الغاز؟ وما الغرض منه؟ ومن هنا ظهر تواز واضح بين التأويلات الغامضه وإرتفاع عدد الحالات والفضل كله يرجع إلى تقرير مركز السموم.

والمدقق فى المنحنى الوبائى (شكل ١) يجد طفره كبيره فى عدد الحالات المسجلة فى محافظة البحيرة فى يوم الأحد وهو اليوم الدراسى الذى تلى خروج الطالبات الثلاث من مركز السموم وبصحبتهن التقرير المذكور، حيث تأكدت الأقاويل والظنون فى عقول المجتمع الطلابى مما جعل رد الفعل السريع يظهر فى اليوم التالى وهو يوم الأحد حيث الطفره الأولى لمحافظة البحيره (٢٢٩ حالة).

ويبرز المنحنى الوبائى أيضا التلازم الزمنى بين نشر التقرير فى صحف يوم الأثنين وإنتقال الوباء لمحافظة بعيدة (الشرقية) ثم حدوث الطفرة الثانية فى اليوم التالى (الثلاثاء) فى محافظة البحيره (٦٣٧ حاله)، والطفره الكبرى على مستوى الجمهوريه حيث سجلت فى هذا اليوم ١٣٦٢ حاله وكان الفضل الكبير فى حدوث هذه الطفره هو تأثير تعميم التقرير فى وسائل الإعلام (عدوى الصحف).

وأكاد أن أجزم أنه لو لم يشر تقرير مركز السموم بالإسكندريه إلى "إحتمال تعرض الطالبات لغاز" وتم تحكيم المنطق والشواهد العلمية فقط لما أخذ الوباء هذه الصوره الغريبه فى الإستمرار والإنتشار وعدد المصابين.

ظنون غير منطقية للبعض من المثقفين:

وإذا تركنا الأطباء المعنيين بفحص الوباء وطالعنا آراء بعض المتخصصين فى مجالات مختلفة فسوف نرى أشياء عجيبة تبتعد عن المنطق والعقل وتدخل فى نطاق غيبة العقل والمنطق وفيما يلى بعض مما نشرته الصحف كنموذج وليس حصرا كاملا عن كل الإجتهادات التى تراوحت ما بين الخرافه والخيال:

الحمى القلاعية فى الأبقار

مهندس زراعى يقول أن فيروس الحمى القلاعية التى تصيب الأبقار والمنتشر فى أبقار الوجه البحرى حاليا - ممكن أن ينتقل إلى الأشخاص ويحدث نفس الأعراض التى تحدث للأبقار وإذا كان الفيروس يصيب ضلوع الأبقار فإنه عند إنتقاله ينتقل إلى الإناث فقط دون الذكور وذلك عن طريق لحم الأبقار ولبنها عندما يأكله الإنسان. (الأهرام الثلاثاء ٩٣/٤/٦ ص ٧).

وللاسف لم يتم التعليق على صحة أو خطأ هذا التوقع فى الجرائد فى الأيام التالية لكن يجدر الإشارة هنا أن ما يحدث للأبقار ليس له علاقة بالإنسان وأن أعراض الحمى القلاعيه فى الأبقار لا تشابه دوخة البنات وأن إنتقاله للإناث فقط دور الذكورمن بنى الإنسان شيئ يجانب المنطق والعلم.

غاز الرادون

يرى اللواء... مدير سلاح المهندسين الأسبق أنه قد يكون غاز الرادون هو المسبب للظاهرة وهو غاز ينطلق من الأرض ودائما ما يظهر فى المناطق السفلية منها.... وهو يسبب الأعراض نفسها التى وقعت فى مدارس البحيره التى هى أكثر عرضة للتأثر بالغاز (الأهرام الثلاثاء ٩٣/٤/٦ ص ٧).

ولحسن الحظ فإن هيئة الطاقة الذرية قد فندت هذا الإدعاء فى اليوم التالى.

غاز أول أكسيد الكربون

إدعى أستاذ بعلوم الإسكندرية أن غاز أول أكسيد الكربون قد إنطلق نتيجة لنوع من أنواع الضغط الغازى تحت الأرض أثر الزلزال و من تفاعلات كيماوية بالمصانع أو بعض المبيدات... وسبب هذا الوباء (جريده المساء ٩٣/٤/٧ ص ٧).

هرمون الأنوثة ومؤامرة على خصوبة الفتيات

عنوان كبير بعرض الصفحه فى العدد الإسبوعى لجريده الجمهورية ١٩٩٣/٤/٨ ص ١٣ يقول الخبر د. البنا: "لابد من مسح هرمونى لدم الفتيات لحظه الإغماء" ويفترض ذلك الطبيب نظرية" هرمونية" غاية" فى الغرابة وإنعدام المنطقية والأسس العلمية فى علاقة هرمون الأنوثه ومراحل تكوينه بالوباء مع العلم بأن ذلك الطبيب ليس أخصائى باطنه أو إستشارى نسا أو حاصلا على درجة علمية فى الهرمونات والغدد الصماء إنه فقط جراح بالبحيره (كما قالت الجريدة).

وعلى ذات الصفحة من جريدة الجمهورية الآتى: "وتنفى الدكتوره س. أخصائية الأمراض النفسية والعصبية وعضو مجلس محلى محافظة البحيره ورئيسة لجنة الأنشطة النسائية تنفي تماما فكرة الإيحاء النفسى مؤكدة أن الطب النفسى لم يعرف حتى الآن حالة الإصابة" الجماعية وإنما يعرف فقط العلاج الجماعى لحالات نفسية جماعية وتؤكد

الدكتوره س ضرورة تدخل وزارة الداخلية خوفا من تجنيد المتطرفين لطالبات المدارس بنشر غاز معين يستهدف الأنوثة.

وعليك ملاحظه أن الدكتوره س.

عضو مجلس محلى المحافظه ولها أنشطه إجتماعية.

أخصائيه أمراض نفسيه وعصبية.

تنفى علمها بأن هناك ما يسمى بأمراض أو إصابة نفسية جماعية.

تتخوف من أشخاص مجهولين وغاز مجهول يستهدف الأنوثه.!!

ومن هنا تبدو الصورة أكثر وضوحا على الأقل بالنسبة للوباء فى البحيرة لأنه على الرغم من صدور وإعلان التشخيص العلمى للحالات على لسان د. أحمد عكاشه والسيد وزير الصحه يوم الإثنين ٩٣/٤/٤ فإن الدكتوره أخصائية الصحة النفسية وعضو المجلس المحلى وما لها من أنشطة وسطوة إجتماعية فى محافظة البحيرة فإنها تلغى المنطق وتسير وراء المجهول واللامنطق حتى آخر يوم للوباء.

ثالثا: دلع البنات

لم تظهر كلمه دلع البنات كوصف للحالات إلا فى يوم الخميس الثانى الموافق ٤/٨ وهذا الوصف كان على لسان الكثير ممن عايشوا الوباء فعلا. والمتبع للقصص المختلفه عن كيفية ظهور الحالات بالمدارس يتبين له أن بدايات كل قصة يشوبها الكثير من دلع البنات ورغبتهن فى التسلى باللعبة ومعايشة المغامرة: صراخ ... إغماء ... إسعاف ... مستشفى ... لقاء صحفى ... ضياع يوم دراسى. ويالها من مغامرة مثيرة مسلية تستحق المخاطرة خاصة لطالبات فى سن المراهقة وسن المخاطرة التى لا يتم حساب عواقبها.

- عند شم زجاجة عطر (ثبت برائتها).
- بعد شم رائحة نفاذة لكتب نماذج الإمتحانات التى وزعت حديثا.
- بعد شم رائحه غريبة.

رائحة تشبه التراب.

رائحة تشبه الغاز.

رائحة تشبه بودرة الغلة.

ويلاحظ هنا إختلاف الروايات لإختلاف خيال التلميذات والغالب هنا الوقع النفسى لأشياء عادية جدا لكنها صادفت وجود مستوى عال من التوتر والخوف من فاعل مجهول ومادة مجهولة ولسبب مجهول.

الوهم والحقيقة لقصص الغاز

ظلت نغمة إستنشاق الطالبات لغاز هى النغمة السائدة طيلة فترة الوباء إلى أن تلاشت بصعوبة بالغة عندما تحقق التوصيف الصحيح للحالات على لسان كبار المسؤلين والإستشاريين وحتى على لسات الطالبات أنفسهن على إنها حالات دوخة أو (دلع بنات).

والمتتبع لأنباء الوباء يجد أن أول إشارة لإحتمال تعرض الطالبات لغازكان يوم السبت الأول ٤/٣ ذلك على لسان طبيب الوحدة الصحية ببويط. وكان مقترنا بباقى الأوصاف الخاطئة للحالة من حيث أنها غيبوبة مصحوبة بإرتفاع فى درجة الحرارة وفى يوم الأحد التالى صدر تقرير مركز السموم بجامعة الإسكندرية وذيل بعبارة إحتمال تعرض الطالبات لغار وذلك الإحتمال الموضوع من جهة بحثية عالية قد بنى على أقوال الفتيات الثلاث بأنهن شممن رائحة غريبة تنبعث من الفصول.

وهل فصول تخلو من الروائح الغريبة المتباينة؟

الإجابة المنطقيه هى لا لأنه توجد مصادر عديده للروائح فى الفصول الدرسية مثل:

١- رائحة الدهانات والكتب والكراسات وأقلام الألوان والشنط.

٢- رائحة العرق والكولونيات والعطور..... والفطريات بأحذية الطالبات.

٣- روائح دورات المياه والمطهرات... روائح حجرة الأنشطة والمعامل.

٤- روائح الأطعمة والمسليات واللبان والشيكولاتة..... رأم الخلول.

ويمكن إضافة رائحة بعض المبيدات الحشرية التى تستخدم فى الحقول نظرا لوجود معظم المدارس التى وجدت بها الحالات فى مناطق ريفية لكن ذلك لم يثبت معمليا على الإطلاق.

وجمح خيال البعض إلى إفتراض أن مصرتتعرض لحرب بيولوجية وحرب كيماوية وعاش البعض فعلا هذه الأجواء النفسيه لحالة الحرب المعلنة على مصر من مجهول... وذهب أحدهم إلى إفتراضات غاية فى الغرابة عن بالونات تحتوى على الغاز السرى تطلق وتنفجر فى سماء المدارس (أشار لهذه الطرفة السيد رئيس الوزراء وإنتقدها بشدة (جريد الأهرام ٤/٩ ص١) وقال البعض أنها أنابيب غاز تستخدمه الفتيات فى الغرب لمقاومة الإغتصاب.

وتؤكد الحقائق العلمية بأنه عند بداية الشعور بالدوخة والإعياء أو الدخول فى حالة إغماء فإنه نتيجة لحدوث هبوط فى الدوره الدموية وقلة الدم الواصل إلى الدماغ - بصوره مؤقته - فإنه يحدث بعض الإضطراب فى الحواس.

- فيمكن للعين أن ترى الصورة مهتزة (زغلله) وترى بعض الألوان.
- ويمكن للأذن أن تسمع طنينا وصفيرا.
- ويمكن للسان أن يشعر بمرارة أو جفاف أو طعم غريب.
- ويمكن للأعصاب أن تشعر بتنميل وخدل ورعشة.

فما يمنع **الأنف** من أن يشعر بروائح غريبة ليست فى الواقع؟؟!!!.

وما سبق ذكره من أنواع الروائح فيمكن للإنسان ألا يشعر بكونها روائح غريبة لكن فى ظل الظروف النفسية الغير طبيعية حيث الوهم يسيطر على عقول الطالبات من خطر داهم فى الفصول فإن التدقيق يكون أكثر والتركيز الذهنى أعلى ومثال ذلك ماحدث للجميع بعد زلزال أكتوبر فما كان يحدث لاهتزازات فى الأبنية بفعل حركة السيارات فى الشوارع كان لا يمثل أى أهمية ولا يشعر به أحد لكن بعد الزلزال صارت هذه الإهتزازات مصدر رعب وقلق ولكن وبحمد الله تلاشى هذا الشعور الغير طبيعى بالتدريج.

وما حدث فى أمريكا عام ١٩٨٤ وكندا عام ١٩٨٧ يؤكد هذه الفرضية.

ففى أحد الأبنية العامة بأحدالمدن الأمريكية إنتاب الهلع وحالات الإغماء الفجائى معظم العاملين وإستدعى الأمر نقل بعضهم للمستشفيات وأدعوا أنهم إشتموا رائحة غاز غريبة أوقع فى روعهم أنه غاز سام وتحركت أجهزه التحاليل والقياس البيئى ولم تجد أية آثار غازات سامة وكانت الحاله الصحية لهؤلاء العاملين مطمئنة للغاية وشخصت الحاله على أنها هستريا جماعية وهلع عام وعرف فيما بعد السبب الحقيقى لمصدر الغاز ولم يتعد كونه رائحه لأطراف مصابيح النيون الرديئة الصنع التى عندما تسخن وتتصاعد منها بعض روائح للمواد اللاصقة بأطراف المصابيح[1]

وفى أمريكا أيضا نقل العاملون بأحد المؤسسات إلى مبنى من الطراز الحديث حيث التدفئة والتهوية داخل المبنى تتم بمكيفات هواء مركزية ولا توجد تهويه طبيعية لأن كل النوافذ من النوع المحكم وبعد عدة أيام إنتاب العاملين بهذه المؤسسه أعراض مختلفة تراوحت ما بين الصداع والدوخة والدوار بل والإغماء وذكر هؤلاء العاملون أنهم لاحظوا رائحة غاز تنبعث من المكاتب فسرى بينهم الهلع الذى أدى إلى الأعراض السابق ذكرها وعلى الفور قامت الأجهزه الصحية والبيئية بإجراء فحص شامل للهواء الموجود بالمكاتب

---

(1) MMWR (1984) 33:506-508.

وتم قياس كل الملوثات بأحدث الأجهزه العلمية التى أثبتت أنه لم توجد أيه مادة سامة أو غريبة بمكونات الهواء وأن كل ما تم قياسه يقع فى حدود أقل من المسموح به[2].

وحدثت قصة أخرى مماثلة فى عام ١٩٨٧ ففى أحد السنترالات العامة بكندا ذكر أحد العمال أنه يشتم رائحة غاز سام وأنه يشعر بدوخة ثم ما لبث وأن سقط على الأرض مغشيا عليه وعلى الفور تساقط من حوله بقية العاملين (١٥٣ شخص) وإستدعى الأمر علاج ١٨ حاله بوحدات الطوارئ بالمدينة وكانت الأعراض عبارة عن إضطراب وهلع وإزدياد فى التنفس وأجريت فحوص بيئية مكثفه فى هذا السنترال ولم يوجد أيه غازات سامة على الإطلاق[3].

والقصص الثلاث السابقة ومثيلاتها والتى حدثت فى الهند وهونج كونج وإنجلترا والتى تذخر بها الدوريات العلمية تماثل ما حدث للطالبات فى مصر من حيث البداية فالجميع شعروا برائحه غاز مجهول سرعان ما تحول فى خيالهم إلى خطر داهم من غاز سام فسقط الجميع فى الهستيريا الجماعية على الرغم من كل الفحوص البيئية المكثفه التى لم تسجل أيه آثار لغازات سامه وأن كل مكونات الهواء فى الحدود الطبيعية.

---

(2) Whorton N.D. et al., (1987) J.O ccup. Med. 29: 142-147.
(3) Guidotti T.L. et al., (1987) J. Occup. Med. 29:148-151.

كلمة أخيرة

عند تناول وباء إغماء الطالبات فإنه يجب الفصل بين ظروف ملابسات وأسباب حدوث الوباء بداية وبين أسباب إستمراره وإنتشاره أفقيا على الأرض ورأسيا فى الزمن.

أسباب حدوث الوباء بداية

بقراءة القصة وتتبع كل ما قيل عنها فإن بداية حدوث الوباء ممكنه بدليل ما حدث بالزرزمون فى مصر وما حدث فى أمريكا وكندا مع التسليم و إكتمال الإقتناع بأن هناك عللاً وأمراضاً نفسية وأن هناك علماً قائماً بذاته له أطباؤه ومستشفياته وهو علم الأمراض النفسية وأن الهستريا الجماعية وزملة الإعياء شئ ثابت وموثق علميا وحيث أن الإنسان عدو ما يجهل فإن التسليم بهذا التشخيص لم يلق القناعة الكافية حتى بين أوساط رجال الثقافة والمتعلمين لقلة المعلومات الموجودة فى الوعى العام عن هذه الظاهره.

أما عن أسباب ظهوره فى محافظة البحيرة وبلدة بويط ولدى هذه المجموعة من الطالبات بالذات فإن ذلك يعود إلى الصدفة البحتة مثلما حدث فى الزرزمون شرقية ولم يشعر بحدوثه أحد.

أما عن سبب حدوثه فى هذا الوقت بالذات ولماذا لم يظهر الوباء قبل ذلك فإن الإجابة على هذا السؤال يمكن إرجاعها للإحتمالات الآتية

١- الوقع النفسى العنيف لحادثة زلزال أكتوبر وتوابعه حيث ترسبت فى عقولنا وخاصه لدى الأطفال والمراهقين مشاعر عالية من التوتر النفسى والترقب والقلق والرعب والخوف من المجهول الذى يحدث فجأة بلا أى مقدمات ولا نملك تجاهه دفع أو وقاية.

٢- ترسب مجموعة هائله على مدار عده أشهر سابقة من الأخبار المفزعة والحزينة مثل العمليات الإرهابيه ومجازر البوسنة وباقى الأخبار العالمية والمحلية التى تدعوا إلى الإحباط والتوتر والقلق والخوف.

٣- مصادفه كل ذلك لنهايات العام الدراسى حيث تزداد جرعة الملل والضجر من المدرسة والمدرسين والدروس والكتب ووجود نفس هذا الشعور لدى المدرسين.

وربما تكشف البحوث والدراسات النفسية والإجتماعية التى أظنها قبد أجريت عن بعض الجوانب الخفية التى تساعدنا على معرفة أسباب ظهور الوباء في هذا الوقت بالذات.

أما عن أسباب إنتشار وإستمرار الوباء وأخذه لهذا الحجم فأرجو أن يكون هذا الكتيب قد أجاب على هذه الجزئية.

أخطاء ودروس

كان للوقع السريع للحدث وشيوع خرافة الغاز السام الأثر الواضح على ظهور بعض الأخطاء عند التعامل مع الوباء.

أولاً: إهمال الجانب الوبائى عند دراسة الوباء

علم الأوبئه هو علم قائم بذاته ويختص بدراسة ووصف وتحليل ما يطرأ على الجماعات البشريه من مظاهر مرضية وعادة ما يستخدم علماء الوبائيات أدوات بحثية بسيطة وغير مكلفة (مثل إستماره إستبيان). وقد سجل هذا العلم على مدار تاريخه إكتشافات مثيره للعديد من الأمراض ووضع برامج للوقاية والمكافحة والتى بدورها أجهضت العديد من الأوبئة الغامضة قبل إكتشاف السبب الحقيقى أو العلاج النوعى لها.

والذى حدث فى وباء إغماء الطالبات، أن هذا العلم لم يأخذ حظه المناسب فى المشاركة وخاصة فى الأيام الأولى من الوباء، فلم يحدث أن قام أحد من متخصصى الوبائيات بدراسة الوباء وفحصه منهجيا.؟!! لإن الفحص المنهجى المنظم للوباء يستدعى فى أولى خطواته التأكد من التشخيص:-

* فهل كانت الحاله "غيبوبة"؟

* وهل تم رسم المنحنى الوبائى لمعرفة نوع الوباء؟

هل هو وباء المصدر الواحد (غاز مثلا)؟

أم هو وباء العدوى المتنقلة (إيحاء وزمله وتعاطف)؟

* وهل تم إختبار مصداقية ما تم عرضه من مسببات محتملة وذلك بإجراء دراسات مقارنه بين الحالات والأصحاء من حيث تعرضهم للأسباب محل الشك وحساب ما يسمى "بنسبة الخطوره" لمعرفة مصداقية السبب المحتمل فى إحداث الوباء.

والمتابع لما حدث أثناء الوباء يمكن له ملاحظة أن دور الدراسة الوبائية المنهجية كان ضئيلا ويكاد أن يكون منعدما وعلى ذلك فإن إنشاء "مراكز للدراسات الوبائية" أصبح ضرورة ملحة حيث يناط بهذه المراكز مهام التصدى للأوبئه فى مراحلها الأولى وكشف الحقائق ووضع برامج الرقاية، ولا تترك مثل هذه الأمور للقطاع العلاجى والمستشفيات من منطلق أن أخصائى العلوم الوبائية له نظرة ذات ثلاثة أبعاد فهو ينظر إلى المسبب والمعرضين لهذا السبب والبيئة الإجمالية" وهذا النهج مغاير تماما لطريقة ألأطباء العلاجيين حيث تكون نظرتهم أحادية المستوى فهم يعالجون حالات مرضية من سبب معروف.

ولو إفترضنا أن بمحافظة الشرقية مركزا للدراسات الوبائية وقام بفحص وباء الإغماء المحدود والذى حدث فى قرية الزرزمون وأن هذا المركز قام بتوفير المعلومات والحقائق والتفسيرات العلمية لكان من الممكن إستخدامها عند الحاجة إليها عندما حدث الوباء الأكبر فى محافظة البحيره بعد أكثر من أسبوع مما حدث فى الزرزمون.

ثانيا: ضرورة وجود هيئة علمية مرجعية لتقديم المشوره لوسائل الإعلام:

فقد لوحظ أن وسائل الإعلام كانت تلجأ لمصادر متباينة لتفسير الحدث مما أدى لحدوث بلبلة وتضارب فى الآراء، وكان الأمر متروكا لعلاقات محررى الصحف الشخصية ومعرفتهم ببعض الأسماء، وكانت أبواب الصحف مفتوحه لأى شخص متخصص وغير متخصص ليقول فتواه.

ويمكن للجمعيات العلمية والجامعات ومراكز البحوث تكوين هذه الهيئة على أن يترك لها التصدى حسب التخصص - لمايطرأ على سطح الأحداث من قضايا.

وعند قيام هذه الهيئة المرجعية بدورها فسوف تخفف العبء عن الجهات الرسمية

الحكومية والتى عادة ما توضع فى محل إتهام باطل وتحاول جاهدة إقناع المناهضين والمتشككين.

ثالثا: الإهتمام بنشر الثقافة العلمية وتبسيط العلوم:

نظرا لأن قطاعاً كبيراً من الجماهير ووسائل الإعلام وبعض المثقفين والمتخصصين قد قابلوا بالرفض التفسير العلمى للوباء على أنه "هستيريا جماعية" وذلك فقط لكون الإنسان عدو ما يجهل فإن الإهتمام بالثقافة العلمية ورعاية نشر وتبسيط العلوم سيكون له مردود فى إنارة الوعى العام وتدريب العقول على الإحتكام للمنطق والشواهد العلمية وعدم الإنقياد للظن والهواجس.

رابعا: وضع خطط عملية والتدريب عليها لمواجهة الكوارث:

المراقب لما حدث فى الوباء سيلحظ أن كل الإصابات قد حولت إلى المستشفيات وكان ذلك على حساب الموارد المادية والجهود البشرية - المحدودة - للمستشفيات، هذا بالإضافة إلى إجراء فحوص معملية شاملة للقطاع الأكبرمن المصابات.

فإين إذن خطط مواجهة الكوارث والتى تستلزم تقسيم الحالات إلى مجموعات حسب التقييم الطبى إلى حالات لا تدخل المستشفى وحالات تعالج بالإستقبال وحالات تستدعى إدخالها للأقسام العلاجية.

وكان السماح بدخول كل هذه الأعداد للمستشفيات بلا داع قد ساعد على تضخيم الحدث إعلاميا حيث كانت الصحف تقوم بنشر صور إزدحام العنابر بالفتيات مما أدى إلى رسم صورة مرعبة للحالة ورفع جرعة التوتر والخوف والهلع.

فمنذ متى تحول حالات الإغماء أو الدوخة بالإسعاف إلى المستشفيات ويتم علاجها بالأقسام الداخلية.؟؟

وباء الإغماء الجماعى لطالبات المدارس المصرية

أبريل ١٩٩٣م

لم يكن وباء الإغماء الجماعى لطالبات المدارس فى مصر بالحدث الهين، فقد أصاب أكثر من ٣٠٠٠ طالبة، وأدخل الرعب فى البيوت المصرية، وانتشر فى بقعة جغرافية جاوزت نصف محافظات القطر، وإستمر الوباء جاثماً بثقل رهيب على صدورنا لأكثر من عشرة أيام.

ولم يكن ماحدث بدعة مصرية فريدة، فقد حدثت أوبئة مماثلة له تماما فى العديد من بلدان العالم، لكن الوباء المصرى قد حطم الرقم القياسى فى الإنتشار والإستمرار وعدد الحالات ... وذلك هو اللغز الأكبر ...!!

ويستعرض هذا الكتيب جميع الأسرار والألغاز والأسئلة الحائرة التى خلفها الوباء، محاولا الإجابة عليها بإستقراء العلاقة المباشرة بين المقدمات والنتائج والفعل برد الفعل والحدث بالنتيجة، ولا يخلو الكتيب من بعض الطرائف والغرائب والنقد المبرر لبعض الهيئات والأشخاص وذلك من أجل الوصول الى الحقيقة واستخلاص الدروس.

"فالأمم الرشيدة هى التى لا تلقى بتجاربها المريرة فى سلة النسيان."

سعر النسخة	رقم الإيداع بدار الكتب
١٢٥ قرش	٢٦٣١ لسنة ١٩٩٤
	جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الناشر

